

القصة - نص نظري: تحليل نص "مميزات القصة القصيرة واتجاهاتها" لمحمد عزام

إشكالية النص وفرضيات القراءة

ظهرت القصة القصيرة بمفهومها الحديث في الأدب العربي منتصف القرن 19 م وازدهرت إبان القرن 20 م، وهي بذلك فنٌ مستحدث ظهر نتيجة التلاؤح مع الثقافة الغربية والترجمة عن أدابها وانتشار الصحافة. ويتميز هذا الفن بخصائص أهمها: وحدة الانطباع، والكتافة الإيحائية، ودقة التصميم، والاختزال. والقصة القصيرة في أبسط تعريفها "فنٌ حكايٌ أداته اللغة، وأسلوبه الحوار والسرد، قليل الكم، ويلتقط اللحظة المشرقة وينقل اللهمحة الخاطفة، ومن روادها في أدبنا الحديث يحيى حقي، عبد الكريم غالب، ومحمود تيمور وزكرياً تامر ويوسف إدريس. وبعد أن نضج فن القصة القصيرة واستوى على سوقه وصار قابلاً للتناول والمقاربة النقدية، ظهرت يراسات تعرف به وتبرز خصائصه وأجناسه وترصد تطوره، ومن أبرز نقاد القصة القصيرة شكري عياد، وصلاح فضل، ومحمد برادة، وسعيد يقطين ... ويعُد محمد عزام صاحب النص من عرّفوا بفن القصة واتجاهاتها الفنية في عدّة مؤلفات، منها "البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة"، و"اتجاهات القصة المعاصرة في المغرب" الذي اقتطف النص موضوع تحليلنا. فما القضية التي يعالجها؟ وما طرق عرضها؟

يتسم عنوان النص "مميزات القصة القصيرة واتجاهاتها" بالطول، ويكون من جزئين يفصل بينهما وأو العطف، ويُشَكِّلان جملة اسمية خبرها محدود يحيل عليه "مثل النص"، ومن الناحية الدلالية يقصد بالمميزات السمات الفنية والمكونات البنوية التي تهيكل هذا الجنس الأدبي، أما القصة القصيرة فجنس سريديٌ خاضع في تكوينه لتلك السمات، ويقصد بالاتجاهات المدارس والثيارات والمناهج التي تشكل خلفية معرفية وإطاراً مرجعياً وقاعدة تصورية يتحرك فوقها هذا المنجز السريدي القصير. فإلى أي حد يعكس العنوان مضمون النص؟

بالنظر إلى العنوان وشكل النص الظباعي، وجملة من المُشيرات النصية الذالة مثل: "نشأة القصة، حاجة اجتماعية، التغيير الفي، شعور خاطف، لحظة من عمر الرَّمَن، فنٌ موْجِزٌ وسريع، تختلف مناهج القصة القصيرة واتجاهاتها..".، نفترض أنَّ النص مقالة أدبيةٌ نقديةٌ تعرف بفن القصة القصيرة وتستعرض أهم خصائصه وأبرز تياراته. فإلى أي حد تصح هذه الفرضية؟ وبأي طريقة صاغ الكاتب أبعادها؟

تفكييف معاني النص

عالج الكاتب قضيَّة رئيسيةٍ تبرز خصائص القصة القصيرة وتياراتها، وقد تفرَّعت عن هذه القضية قضايا صغرى متصلة بها، هي:

- علاقة القصة بالمرجع (المبدع، المجتمع) باعتبارها إفرازاً اجتماعياً أول ظهورها وتمثيلاً فنياً بعد ذلك.
- صعوبة المقاربة التقديمة للقصة القصيرة لضحالة المتوفر النبدي والاصطلاحى بسبب حداثة ظهورها وعدم اتضاح ملامحها بعد.
- حجم القصة القصيرة وإشكال التلقي حيث حصره النقاد حسراً زمنياً محدوداً غالباً في ساعة من القراءة تزيد أو تنقص قليلاً.
- اقترانها بالوظيفة الاجتماعية المغربية بإشكالات المخجّل وهمومه، الساعية إلى إلقاء القضاء على أمراضه وأخطائه.
- التطوير الفنى ممثلاً في عناية كثائبه بالجانب الجمالى والشكلي إلى جانب عنايته بالمضمون.
- تيارات القصة القصيرة في سيرورة تطورها من الاعتناء بالحادثة، إلى الاهتمام بالشخصية، إلى التركيز على الشعور واللاشعور، إلى الاحتفال بالفكرة المادية أو الرمزية أو الأسطورية.
- تنصيص الناقد على سعي كاتب القصة القصيرة دائماً إلى تجاوز النمذجة وتجاوز الواقع وتجاوز ذاته أيضاً.

تحليل النص

الإشكالية المطروحة

طرح الكاتب إشكالية تجنيس القصة القصيرة من حيث ماهيتها فذكر أنها عرفت في تعاقبها الجمالى

والكنولوجي أربع مراحل فية هي مرحلة التأسيس ومرحلة التجريب ومرحلة التأصيل ثم مرحلة التجنيس فيبني فن القصة القصيرة على شعرية الصورة البلاغية والتركيب الشاعري والدرامي السريدي واستغلال بلاغة الإنزياخ واستخدام الذاكرة ومخاطبة الذهن وتنويع الأزمنة السردية والصياغات الأسلوبية واللغوية ومن أهم القضايا الدلالية التي تطرق إليها القصة القصيرة السياسية والاجتماعية والهموم المحلية والوطنية والقومية.

المفاهيم والقضايا

تضمن النص العديد من المفاهيم النقدية والاجتماعية، نذكر منها العلوم الألسنية يعود تاريخها إلى القرن 20 م، وهو علم يرتكز على الأسس العلمية المبنية على التجربة والمشاهدة والاستنتاج مع ربطها بالعلوم الأخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، وهو علم أصبح يهتم به جميع الأدباء والكتاب من شعراء وقاصون.

المصطلح النبدي للقصة القصيرة : تشكلت ملامحه لدى النقاد منذ أكثر من خمسة عقود أو تزيد، فالنقد اصطاحوا على تسمية القصة الطويلة بالرواية عندما تعددت أجزاؤها سموها الرواية الملحمية ثم أطلت علينا مؤخراً أنواع جديدة من القصة أطلق عليها النقاد بأسماء القصة القصيرة جداً، القصة الومية، القصة الصورة، القصة الخاطرة. تلقي القصة القصيرة ووظيفتها الاجتماعية إنها ترفض القارئ الذي يقرؤها قراءة سطحية وتتصالح مع القارئ الذي يتتجاوز قراءة السطور محاولة التفسير والفهم وأخذ المعنى الضمني، وعندها تكون القراءة عبارة عن حوار ممتع بين القارئ والقصة من أجل إعطاء معانٍ متعددة من خلال التأويل.

طرائق العرض

ينوُّ الكاتب في طرائق عرض محمولاته الفكرية وأساليب صياغتها، مركزاً على أساليب التفسير عامة ومنها: التعريف لبيان خصائص المعرف للقارئ، ومن ذلك قوله في تعريف القصة : "هي شعور خاطف ولحظة من عمر الزمن ..، والقصة القصيرة فنٌ دراميٌ أداته اللغة، وأسلوبه الحوار والسرد...، وإلى جانب

التعريف اتكاً الكاتب على الوضفلملاحة تفاصيل التصور الذي يعرضه واستكمال الكفاية التفسيرية الملائمة للموقف النبدي، من ذلك قوله : " وهو فنٌ شديد الفردية، يتلقي الحياة بحساسية خاصة..."، واهتم أيضاً بشكل واف بالسرد ووظيفة الإخبارية الطاغية لتوفير كتل المفهومات الالزمة لإضاءة القضية الرئيسية للنص، والمسعفة في حمل المتلقى على الاقتناع بالتصور المبسوط أمامه، ومنه " والقصة

القصيرة تعرَّفنا بشيء نعرفه مسبقاً، ونعيده يومياً، وهي تعرُّضه في شكل لقطة أو جزئية ما، أو فكرة محددة "، وراغب أساليب التفسير الموظفة في خاصية "الكتافة الشعرية" التي ترتهن إلى اللمح والإشارة والترميز بين فنِّي القصة القصيرة والشعر في إبداعه المادي أو الرمزي أو الأسطوري .

واللفظ القليل المشع بأفق رحب من الدلالات والإيحاءات، وبين الرَّواية والقصة القصيرة في التعبير عن الحياة الاجتماعية والابناء على "السرد وال الحوار والوصف". وقد أدىَتُ الطرائق مجتمعةً دوراً أساسياً في تدعيم فكرة الناقد وتمتين بنيتها المنطقية لإقناع المتلقى بفاعلية هذا الفن الجديد على التعبير عن المجتمع ومعالجة اختلالاته، وفي إرواء التعطش الوجاهي والجمالي لمتنق حاضرته تعقيدات المجتمع أيضاً.

تركيب وتقدير

بناءً على ما سبق نستطيع أن نقول إنه بات بوسعنا اعتقاد صحة الفرضية التي انطلقنا منها في بداية تفكيرنا لهذا النص، وهي كونه ينتمي إلى جنس المقالة النقدية الأدبية التي تثير إشكالات جوهيرية

مرتبطة بماهية القصة القصيرة وسماتها المميزة ووظائفها الموزعة بين الانشغال بالهاجس الاجتماعي والرهان الجمالي. ونعتقد أن الكاتب كان موفقاً إلى حد كبير في انجياده إلى هذا الجنس الأدبي الأكثر انتشاراً في العصر الحديث، غير أننا لا نوافقه في كون القصة القصيرة وحدتها تمتلك مفاتيح نقد الواقع

وتصحيح اختلالاته، لأن وظيفة بهذه تحتاج إلى تضاد كل الفنون التعبيرية.